سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح

بَابٌ

مِنَ الإِيمَان بِاللّٰهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللّٰهِ

مِنْ

«كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»

مع مقدمة عن (كيفية الدعوة إلى التوحيد)

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

مقدمة عن (كيفية الدعوة إلى التوحيد)

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرورو أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد...

فهٰذا الدرس في توحيد العبادة، وما يضاد ذلك من أصله، أو ما ينافي كماله، وبيانه أنواع ما يجب لله جل وعلا من التوحيد، وأعمال القلوب، وإفراد الله جل وعلا بذلك، وما تصلح به حياة المسلم بإصلاح قلبه، ثم ما يلي ذلك من إصلاح عمله، وكذلك بيان الشرك الذي ببيانه يحصل معرفة ما يحب الله جل وعلا ويرضىٰ من التوحيد وما يسخط ويكره من الشرك بالله جل وعلا؛ الذي هو فساد في الأرض بعد إصلاحها.

فقد قال جل وعلا : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف:٥٦]، والفساد جُمل وأعلاه ما يكون به الفساد والإفساد أن يُقرَّ الشرك بالله جل وعلا، الشرك الأكبر ووسائل ذلك وما يقرِّب إليه.

كذلك قال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج]، قد قال أبو العالية من أئمة التابعين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال: **كل معروف في القرآن فهو التوحيد، وكل منكر في القرآن فهو الشرك.**

يريدُ أن كل أمر بالمعروف يعني أن يكون أول ما يدخل فيه وأعظم ما يدخل فيه الأمر بالتوحيد، والنهي عن المنكر أعظم ما يدخل فيه النهي عن الشرك، والله جل وعلا جعل دعوة الأنبياء والمرسلين في التوحيد، في بيان حق الله جل وعلا من توحيده وإجلاله وتعظيمه، وبيان ما لا يسوغ في حقه جل وعلا، ويجب الكفر به والبراءة منه ومن أهله ألا وهو الشرك بالله جل وعلا قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني إلىٰ عبادة الله وحده دونما سواه والبراءة من الطاغوت ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[النحل].

وهكذا يتبيَّن لك أن أعظم الواجبات أن يكون العبادات متبصِّرين بحق الله جل وعلا في التوحيد، وأن يدعو إلىٰ ذلك، وأنَّ من ذلك النهي عن الشرك والبراءة منه ومن أهله، والدعوة العامة والخاصة إلىٰ نبذ الشرك وتركه، وإلىٰ إفراد الله جل وعلا العبادة.

وهٰذا أعظم وأعلىٰ ما يدخل في قول الله جل وعلا : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران]، فوصف الله جل وعلا الذين يدعون إلىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأنهم هم المفلحون.

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يكون ذلك إلا بالتعلم والتعليم، بتعلم التوحيد وبتعليمه ونشره، وبمعرفة أفراد التوحيد وما يجب لله جل وعلا حتىٰ يكون العبد قد أقام قلبه علىٰ التوحيد في نفسه، ثم

يدعو إلىٰ ذلك غيرَه.

كذلك الشرك لا يمكن أن يعرف ولا أن يُنهىٰ عنه إلا بعد العلم به علىٰ وجه التفصيل.

وأنواع الشرك كثيرة؛ سواء في الشرك الأكبر فأنواعه كثيرة وتتجدد وتختلف باختلاف البلاد، وكذلك وسائل الشرك الأكبر كثيرة متنوعة، كذلك الشرك الأصغر متنوع، وكذلك وسائله متنوعة.

وكل هٰذا يحتاج إلىٰ علم، وهٰذا العلم لا يكون عند طالب العلم قد حرص عليه وأقبل عليه إلا بعد أن يعلم أنه هو أفاد دعوة الأنبياء والمرسلين، وأن هٰذا الأمر بالتوحيد والنهي عن ضده أنه هو ميراث النبوة، وما بعده يكون تبعا له، إذ هو الأساس وهو الأصل، وهو الركن الركين في إقامة العبد لنفسه وإقامته لغيره وفي صلاح الأفراد والمجتمعات والدول.

لهٰذا من أجل خطره ومن أجل أنه بسبب الشرك والبعد عن التوحيد يحيق البلاء وتقع العقوبات= خاف إبراهيم عليه السلام علىٰ نفسه من هٰذا الشرك، فقال في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم] مع أنه هو خليل الله، ومن أولي العزم من الرسل، وله المقام العالي عند ربه جل وعلا؛ ولكنه خاف علىٰ نفسه الشرك.

قال إبراهيم التيمي من كبار التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه قال حينما تلا هٰذه الآية: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.

لا أحد يأمن البلاء بعد إبراهيم، إذا كان إبراهيم الخليل خاف علىٰ نفسه من هٰذا الأمر العظيم ألا وهو عبادة الأصنام وعبادة الأوثان، والشرك بالله، فإنه لا يأمن أحد بعد إبراهيم الخليل علىٰ نفسه.

ولهٰذا يجب الخوف العظيم من الشرك، الخوف العظيم من ترك التوحيد، وهٰذا الخوف يُكسب العبد الإقبال علىٰ تعلُّم التوحيد وعلىٰ المجاهدة فيه، وعلىٰ تعلم أنواع الشرك، وعلىٰ مجاهدة المشركين باللسان وبالحجة، كما قال جل وعلا: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان]، هٰذا كله يحتاج إلىٰ علم وإلىٰ تعلم وذلك لأنه فروع كثيرة.

هٰذا التوحيد نرىٰ اليوم الناس في الدعوة إليه يختلفون، فمنهم من يدعو إلىٰ التوحيد وينهىٰ عن الشرك علىٰ وجه الإجمال، وهٰذا يقبل في أي مكان في الأرض؛ أن تدعو إلىٰ التوحيد مجملا بدون تفصيل أنواعه، وأن تدعو وأن تنهىٰ عن الشرك مجملا بدون تفصيل أنواعه، هٰذا يُقبل لأنه ممَّا لا اختلاف فيه لأن التوحيد علىٰ وجه الإجمال لا منازعة فيه، وأن الشرك علىٰ الإجمال لا منازعة فيه.

إذ أفهام الناس للتوحيد وللشرك تختلف فإذا نهيت عن الشرك مثلا في بعض البلاد مجملا دون تفصيل ذهب إلىٰ الأذهان إلىٰ شرك الموجود عند النصارىٰ من ادعاء أن عيسىٰ ابن الله كما قال البوصيري ضالا في فهمه لمعنىٰ التوحيد قال في البردة المعروفة:

دع ما ادعته النصارىٰ في نبيهم ... وقل ما شئت فيه بعد واحتكم

يعني لا تقل في محمد ﷺ: إنه ابن لله جل وعلا، كما قالت النصارىٰ فإن هٰذا شرك، وقل بعد ذلك ما شئت في النبي ﷺ من أي لفظ ومن أي مقال، حتىٰ ولو كان أن تدَّعي له بعض خصائص الإلهية من جواز الاستغاثة به، وأنه يغيث المنكوب ويفرج الكربات، وأنه يتصرف في الكون ونحو ذلك.

هٰذه الدعوة الإجمالية تجد أن كثيرين يدعون إليها في بلادهم ولا يحصل لهم شيء، ويقبل الناس،

ولٰكِن متىٰ تكون الدعوة إلىٰ التوحيد وإلىٰ النهي إلىٰ الشرك تكون نافعة سلفية كما قام بها أئمة هٰذا الدين إذا كانت علىٰ وجه التفصيل؛ **لأن الإجمال يُقبل لاختلاف الناس في فهمه، فكلٌّ يفسِّره بما لا يشمله**؛ يعني إذا أتيت بالنهي عن الشرك عند عباد القبور مجملا ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان]، تصوروا أن المراد به غيره.

إذا أتيت للتفصيل هٰذا ما يميز أنهم يفصلون في الدعوة إلىٰ التوحيد هٰذا اليوم ترىٰ فئات من الناس يقرون من الطوائف والجماعات والفئات يقرون بالدعوة إلىٰ التوحيد؛ لٰكِنهم لا يفصّلون، وتجد أن بعض الناس يقول: هؤلاء يدعون إلىٰ التوحيد وينهون عن الشرك لٰكِن بدون تفصيل، لا يكسب أولئك عداوة الناس ولا يفهمون ما المراد؛ بل لا يعنون المراد بتلك الكلمات.

ولهٰذا الدعوة إلىٰ التوحيد الدعوة النافعة من طالب علم في تعليمه أو في خطابته أو داعية ذهب إلىٰ بلاد قد وُجد فيها الشرك وفشا، أو بلاد لا يوجد الشرك لا بد أن يكون ذلك علىٰ وجه التفصيل.

فيقول مثلا في التوحيد: أن التوحيد منه تعظيم الله جل وعلا برجائه وحده في العبادة والخوف منه وحده، خوف السر، وبالتوكل عليه وحده والإنابة إليه وحده وبالاستغاثة إليه وحده ونحو ذلك من أنواع إفراد الله جل وعلا بالعبادات، وإذا أتىٰ إلىٰ مقابل ذلك من النهي عن الشرك فصل ذلك وأتىٰ بأدلته، وذكر أنواع الشرك الموجودة في البلد وإن لم يكن فيها شرك فصل وذكر حتىٰ لا يقع الناس في ذلك، أو تأتي إلىٰ بلادهم أن يعرفوا الحقائق.

تجد مثلا انظر مثلا في هٰذه البلاد التي أكرمها الله جل وعلا بدعوة إمام هٰذه الدعوة والمجدد للأمة في دينها في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر أن الناس فيها يحبون التوحيد وبغضون الشرك؛ لٰكِن صارت كلمات الناس من الخطباء أو من أئمة المساجد إذا ذكروا التوحيد ذكروه مجملا، الناس لا يعرفون أفراد ما يراد بهذا الأمر.

فتجد أن أهل التوحيد في مثل هٰذه الأعصر المتأخرة اختلفوا عن أهل التوحيد في الأزمنة المتقدمة من قرن أو من خمسين سنة فأكثر، والسبب لا يذكر لهم تفصيلات، وتفصيلات التوحيد بها تلين القلوب، وتعظم القلوب ربها جل وعلا، وتوالي أهل التوحيد وتبغض أهل الشرك.

فإذا عرفت التوحيد مفصلا أيقنت به وعملته وأرشدت الناس إليه، وإذا علمت الشرك مفصلا خافت منه وهربت منه وأنكرته، وهٰذا الذي حصل وتجد العامي مثلا يعلم أن هٰذا نوع من الشرك وهٰذا من الشرك ونحو ذلك؛ لٰكِن نشأت أجيال تجد أن التوحيد عندهم علىٰ وجه الإجمال، والشرك والنهي عن الشرك علىٰ وجه الإجمال، فربما راج عليهم بعض الشركيات ودخلت بيوت أهل التوحيد في هٰذه الديار بجميع أصنافها، ولا يعرفون أن هٰذا من المنهي عنه.

وسبب ذلك تقصير الدعاة في تفصيل التوحيد، تجد فلان لماذا لا تفصل عن التوحيد؟ يقول: أنا خطبت خطبة في التوحيد، وبيّنت أنه واجب وأتيت بالأدلة علىٰ ذلك؛ لٰكِن ما هي أنواع التوحيد الواجب؟ لماذا لا تنزل ما يفهمه الناس من ذكر الحيثيات، ذكر التفصيلات، هٰذه العبادة بخصوصها توحيد، وهٰذه العبادة بخصوصها توحيد، وكيف يكون حب الله جل وعلا توحيدا، وكيف يكون رجاء الله جل وعلا توحيدا، وكيف يكون التوكل علىٰ الله جل وعلا توحيدا، وبضد ذلك الشركيات بأن الاستغاثة

بغير الله شرك، كيف كون الذبح لغير الله شرك، بعض الناس عندنا مثلا يقول: نعم الذبح لغير الله شرك، لٰكِن ربما يجد أمامه صورة من صور الذبح لغير الله عندنا ولا ينكرها.

وفي الرياض مررت مرة علىٰ وأحد الإخوان بقريب من داري صلينا الظهر في مسجد، وانصرفنا، فإذا اثنين قد ذبحا خروفين عند عتبة المنزل، وصاحب البيت من أهل الرياض المعروفين، يعني منهم من الشباب الصغار ربما أتاه إما واحد من غير هٰذه البلد هٰذا فيه كذا، ما ظن أو ما عرف أن هٰذا من الشرك بالله الشرك الأكبر؛ لأن هٰذا يراد منه دفع أذىٰ الجن، هٰذا ذبح هو في الحقيقة ذبح للجن حتىٰ يُكفىٰ شرهم وحتىٰ لا تأتي عين له ونحو ذلك.

وهٰذا من جراء من عدم التنبيه، علىٰ هٰذه التفصيلات.

كذلك من مثل أنواع التعلق بغير الله، ونسبة نعمة الله جل وعلا إلىٰ لغيره، هٰذا كثر جدا، وتجد مثلا كثر عندنا وإذا قلنا: عندنا فعند غيرنا من باب أولىٰ لأن هٰذه البلاد أنعم الله جل وعلا عليها بهذه الدعوة وبمعرفتها وكثر مثلا نسبة النعمة لغير الله كما قال جل وعلا: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣].

فتجد أن منهم ينسب الفضل بالنجاة في طائرة أو في السيارة إلىٰ السائق، إذا أتاهم شيء قالوا: ما شاء الله كدنا نذهب، لٰكِن السائق كان جيدا.

وهٰذا من جنس قول من قال: كانت الريح طيبة والملاح حاذقا. الذي هو نوع من أنواع شرك الألفاظ..

وهكذا في عزو بعض الفضل في دفع الشرور إلىٰ جهات أمن أو نحو ذلك، والمتفضل هو الله جل وعلا والعباد أسباب، فيجب أن يكون الفضل في هٰذا لله جل وعلا ثم لهٰذا السبب الذي جعله الله جل وعلا سببا.

ومن جنس أنواع الشرك الأصغر للتمائم والحلف بغير الله ونحو ذلك، التمائم بأنواعها انتشرت في الناس تدخل أي عمارة شئت في الرياض وفي غيره فلا بد في هٰذه العمارة علىٰ الأبواب أنواع شرك بالله جل وعلا، تجد عليها حذوة فرس معلقة كأنها شيء يستأذن به علىٰ البيت، مثلا تطرق به البيت، أو موضوع عليه راس ذئب أو رأس أرنب أو رأس غزال، أو تجد في سيارة لاصق أرنب أو حيوان أو رأس قط في زجاجة أو واضع مسبحة إلىٰ أشكال كثيرة مختلفة في ذلك.

وهكذا إذا أتت المواسم تجد عندهم من هٰذا العجب العجيب.

سبب انتشار هٰذه أن الدعوة التفصيلية للتوحيد غابت، وهٰذا أعظم ما يكون به البلاء أن الأرض طُهِّرت من الفساد وصلُحت بالتوحيد، ثم بعد ذلك يُتساهل في مثل هٰذا والتساهل ودخول هٰذا من الشيطان، والشيطان يفرح بالغفلة عن هٰذه الأمور حتىٰ يقويها،

لهٰذا نقول: يجب أن يكون هٰذا الأمر واضحا، وأن أعظم ما تكسب به الحسنات وتستدر به فضل الله جل وعلا، وتكون من أولياء الله جل وعلا أن تكون من أهل التوحيد الذين شغلهم هٰذا الأمر؛ لأنه أعظم حق الله هو توحيد الله جل وعلا، من رسالات الله ومما أوحي به إلىٰ طائفة من النبيين أنه أمر التوحيد فقط لا غير بدون تفصيل في محرمات أو تفصيل في واجبات أخرىٰ يأمر الناس بتوحيد الله بإفراده جل

وعلا بالعبادة دون شرائع كثيرة ونحو ذلك.

ولهذا أعظم ما يكون عليه العبد أن يكون عالما بتوحيد الله، عالما بما يضاد ذلك، داعيا بالحكمة والموعظة الحسنة.

هٰذا يحتاج منكم إلىٰ علم إلىٰ صبر، وهٰذا العلم لابد أن يكون علما واضحا بينا؛ لأنه واجهنا أناس من طلبة العلم أو ممن يحضرون حلق طلبة العلم أو المشايخ أو العلماء تجد أنهم سمعوا كثيرا، ولٰكِن قصروا في تحرير فهمهم للمسائل مسائل التوحيد، فإذا تكلموا فيها كان كلامهم ليس علىٰ الوجه الصحيح التام خلطوا، وربما جعلوا أشياء من الشرك شركا أكبر، وربما جعلوا أشياء من المحرمات من الشرك الأصغر، أو أدخلوا في التوحيد ما ليس منه، وغلوا في بعض الأشياء أو قصروا إلىٰ آخر ذلك.

ولهٰذا نقول: نحتاج أن نكون في درسنا للتوحيد أن كون أهل بصيرة وتفكير، التوحيد أمره بالمثابة التي سمعت، والدعوة إليه واجبة وفرض علىٰ هٰذه الأمة؛ لأنه حق الله جل وعلا وهو أعظم أركان الإسلام وهما الشهادتان؛ لٰكِن يحتاج إلىٰ علم، وهٰذا العلم يحتاج منك إلىٰ معرفة صورة المسألة صورة المسألة التي هي شرك.

مثلا إذا قال قائل لآخر: أرجوك يا أخي كذا وكذا.. فهل هٰذا يكون من الشرك؟ يأتي واحد ويقول: الرجاء عبادة، لا يجوز أن تقول لمخلوق أرجوك، يجب إفراد الله جل وعلا بهذه العبادة، إذا كان ما حرر المسألة وما عرف الباب علىٰ أصوله يخلط ما ليس من العبادة بما هو من العبادة.

الرجاء أقسام والرجاء الذي صرفه لغير الله شرك شرك أكثر هو رجاء العبادة، هٰذه الضوابط مهمة أن تدقق فيها تعرف الضابط الذي يكون به الأمر من التوحيد، يكون صرفه لغير الله شركا أكبر، مثل خوف هل الخوف من المخلوق يعد شركا أكبر، قيده العلماء بأنه خوف السر، وهٰذا تقييد.

كذلك المحبة، المحبة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]، ما هي المحبة التي صرفها لغير الله شرك هي محبة العبادة التي معها طاعة أو التزام كل الأوامر والتزام اجتناب كل النواهي سواء نفذ ألو لم ينفذ.

وهكذا في معرفة أنواع الشرك.

مثلا الذبح لغير الله يكون شركا أكبر، الذبح لغير الله، الذبح لله فيما مكان يذبح فيه لغير الله مشابهة المشركين في شعائرهم هل هي شرك أكبر أم شرك أصغر أم من المحرمات.. إلىٰ آخر هٰذه التفصيلات.

لابد أن كون عندك دقة ونظر في تفهم كلام أهل العلم، في صورة المسألة، فإذا اتضحت لك صورة المسألة، بعد ذلك تحفظ الأدلة فيها، وكفىٰ بما جاء في كتاب التوحيد لأن في كل مسألة دليل ودليلين أو أكثر إذا فهمته حفظته وفهمت وجه الاستدلال منه كنت علىٰ علم عظيم.

إذا ضبطت الأدلة ووجه الاستدلال من الدليل علىٰ المسألة كنت علىٰ حجة في ذلك، حجة بينة لأن البينة علىٰ مسائل التوحيد أو ما يضاد التوحيد من الشرك الأكبر أو ما دونه هٰذه دلائله واضحة جلية بينة لا مجال فيها إلىٰ الاختلاف. والحمد لله.

لهٰذا أوصيكم في مقتبل ما سنقرأ من هٰذا الكتاب العظيم «فتح المجيد» أن تتحروا الدقة فيما تسمعون، وفيما تقرؤون، وتهتمون بالضوابط ضابط المسألة، وهٰذا في كل علم نافع، إذا عرفت شيئا من

مسائل التوحيد فثبتها بالدعوة إليها ولو في بيتك مع أهلك تبين لهم، هٰذه المسألة كذا وكذا، حق الله جل وعلا ويكون معها وأنت تبين مسائل التوحيد ومسائل الشرك يكون معها التخويف من الله جل وعلا وترقيق القلب والذل لله جل وعلا؛ لأن من الناس من يجعل الدعوة إلىٰ التوحيد تخاطب العقول دون القلوب وهٰذا غلط في الدعوة وغلط في المنهج.

التوحيد ليس هو مسائل كلامية مثل ما هو عند المتكلمين بل المراد منه تعظيم قلوب المؤمنين لربهم جل وعلا ورهبتهم منهم وإجلالهم ومحبته له جل وعلا إقبالهم عليه بالعبادة وافنابة والخضوع والرغب والرهب.

هٰذا هو المقصود، إذا أتيت ضبطت مسالة وتبين لهم أو في مسجد إذا كنت متيقن من فهمك إذا كنت تدعو إلىٰ ذلك بضبط المسألة بدون توسيع في الألفاظ، ما ضبطته تذكره به تثبت المسائل وتحوز علىٰ أعظم فضل.

والناس بحاجة عظيمة جدا في هٰذه البلاد فضلا عن غيرها التي فيها الشرك إلىٰ تذكيرهم بالتوحيد، ولا ينتشر الشرك إلا إذا غفل عنه كيف يتابع المتأخر المتقدم إذا بين لا، أما إذا غفل ما فعل أفراد الشرك ولا أفراد التوحيد متىٰ تعلمها؟ في المساجد الخطب، الجيد من الخطباء من يذكر في السنة توحيد وتفصيل المسائل والشرك وخطره وتفصيل المسائل عليه.. مرة مرتين ثلاث هٰذا إذا كان متميزا، وأكثر الكلام يكون إما في صلاح الأعمال أو في الواجبات ويخلطها بغيرها أو في منكرات هي دون ذلك؛ لٰكن يجب أن يكون أن نعي أن هٰذا الفضل العظيم الذي من الله جل وعلا به علينا وهو التوحيد أنه يجب أن نحافظ عليه، ولن نحافظ عليه إلا باستمرار الدعوة إليه والتذكير به، في كل حال في كل بين كل فترة وفترة تواصي به، ذكر مسائله، تطبيقه حتىٰ يكون العبد مستنير القلب وحتىٰ يكون الناس علىٰ بينة من هٰذا الأمر العظيم.

أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا وإياكم حسن التعلم وحسن التعليم، وأن يجعلنا من الدُّعاة إلىٰ دينه، المنافحين عن سنَّة نبيِّه ﷺ، وأن يجنِّبنا سُبل الردىٰ، وأن يعيذنا من نزغات الشياطين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس.........

[قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب التوحيد»:

٣٥- بَابٌ

مِنَ الإيمان بِاللَّه الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّه

[١] وَقَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التَّغَابُنُ].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْـمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ الله؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

[٢] وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْـمَيِّتِ».

[٣] وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْـخُدُودَ، وَشَقَّ الْـجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ».

[٤] وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْـخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[٥] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

قال الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»]

....

قوله: (وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْـخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».).

هٰذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي. وأخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مغفل ابن عدي عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر.

قوله: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْـخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا» أي يصب عليه البلاء والمصائب لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يُوافِي(١) به يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: المصائبُ نعمة، لأنَّها مكفرات للذنوب، وتدعو إلىٰ الصَّبر فيُثاب عليها. وتقتضي الإنابة إلىٰ الله والذُّل له، والإعراض عن الخلق، إلىٰ غير ذلك من المصالح العظيمة. فنفس البلاء يكفِّر الله به الذنوب والخطايا. وهٰذا من أعظم النعم. فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبُها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فيكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإنَّ من الناس من إذا ابتلىٰ بفقر أو مرض أو وجع حصل له من النِّفاق والجزع ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له الضَّرر في دينه، فهٰذا

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ: (يُوافِي به) أولىٰ، (يوافىٰ) يعني: يوافيه الله به.

كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة، كما أنَّ من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة، كانت في حقِّه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الربِّ ﷻ ورحمة للخلق، والله تعالىٰ محمود عليها، فمن ابتلىٰ فرُزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له بعدَ ما كفَّر من خطاياه رحمةٌ[1]، وحصل له بثنائه علىٰ ربه صلاة ربِّه عليه، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة:١٥٧]، وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. انتهىٰ ملخصًا.

الحمد لله، هٰذا الباب في الحث علىٰ الصبر، ومعلوم أنَّ الصبر يكون في الغالب علىٰ المصائب، والعبدُ في هٰذه الحياة الدنيا لابد أن يكون منه الزلل، وهٰذا الزلل والإعراض أو العصيان أو الذنوب التي يكتسبها والاسم هٰذا يدفع بأشياء:

- فمنها أشياء من فعله.
- ومنها أشياء من فعل غيره.
- ومنها أشياء من فعل الله جل وعلا.

- وما هو من فعله مثل: التوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

- ومثال ما هو من فعل غيره: دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، وصدقتهم عنه، وتقربهم إلىٰ الله جل وعلا ببعض العبادات عنه كعمرة أو حج ونحو ذلك مما يزيد في حسناته، فتطفئ أثر الذنوب.

- ومنها ما هو من الله جل وعلا وهي علىٰ أقسام:

- منها في الدنيا.
- ومنها في البرزخ.
- ومنها يوم القيامة.

فلابد إذا عفا الله العبد أن يصيبه أثر معصيته إذا كان ذلك مما يؤاخذ به ولم يكفر عنه.

فمثلا في الدنيا مما هو من فعل الله: المصائب المختلفة، سواء كانت صغيرة، الشوكة يشاكها، أو حزن أو كانت كبيرة كفقد بعض ما يُحب من الدنيا، أو أمراض أو عاهات ونحو ذلك.

وقد تكون في برزخ من عذاب يعجل له في البرزخ قبل يوم القيامة، يقوم القيامة يكون أخذ جزاءه في البرزخ.

وقد يكون يوم القيامة عذاب في النار إذا لم يشأ الله جل وعلا أن يغفر له ذلك.

فإذا أراد الله جل وعلا بعبده الخير= وفقه لكثرة الإنابة والاستغفار وللتوبة من الذنوب، ولعمل الحسنات التي تُذهب السيئات، ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[هود:١١٤]، ويكون مع توفيقه هٰذا ابتلاء له بأنواع من المصائب حتىٰ تكفر عنه سيئاته ويوافي الله جل وعلا وهو طاهر مطهر من الذنوب.

ولهٰذا جاء في الحديث الذي في الصحيح «أن المؤمن ما يصيبه من هم ولا حزن ولا وصب حتىٰ

---

(١) يعني: حصل له رحمةٌ بعدَ ما كفَّر من خطاياه.

الشوكة يشاكها إلا كفر الله جل وعلا بها من خطاياه»، فيأتي المسلم أمر أو خبر يهمه ويحزنه، هٰذا نوع من البلاء فتتنغص عليه أموره، تتعكر عليه بعض أمور حياته فيهتم لذلك في شيء من ضيق الصدر فيما ناله، هٰذا يكفر به منم خطايا.

هٰذا بعض ما يدخل في قوله في هٰذا الحديث « **إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْـخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الـدُّنْيَا** » وقد يبتلىٰ بمصائب أكثر من ذلك.

والمصائب لها فوائد غير تكفير السيئات، فبالمصائب يرجع العبد إلىٰ ربه جل وعلا، ويتذكر ربه جل وعلا، ويعظِّمه ويقبل عليه وينيب إليه؛ فكثير من عباد الله يكونون علىٰ غفلة فإذا أتت المصائب ذكرتهم بالله جل وعلا وأحدثت لهم إنابة وخضوع؛ ولٰكِن هٰذا يكون مع الصبر، إذا صبر العبد أتته هٰذه الأبواب من الخيرات.

ولهٰذا ذكر المصنف هٰذا الحديث لهٰذا الباب -في باب الصبر علىٰ أقدار الله وفضيلة الصبر- لأنه بالصبر يكون تكفير السيئات، ثم تثمر المصيبة أنواعًا من الخيرات علىٰ العبد؛ فيُقبل علىٰ ربه وينيب، وتصغر في عينه الدنيا وتعظم في عينه الآخرة، ويكون الخلق عنده مبغوصين، ويكون الله جل وعلا محبوبا يزهد في الدنيا ويُقبل علىٰ الآخرة، وما يكون مع ذلك من أنواع العبادات.

ولهٰذا الصبر علىٰ المصائب واجب، يجب الصبر، ومن لم يصبر فإنه يفوته هٰذا الواجب، معنىٰ ذلك أنه ارتكب محرما.

ما معنىٰ الصبر الواجب؟

الصبر كما قد عُرِّف لكم أنه حبس اللسان عن التشكي، وحبس القلب عن التسخط، وحبس الجوارح عن إظهار السَّخط بلطم للخلود وشق للجيوب كما كان في الزمن الأول، أو بصراخ أو بنحو ذلك من الأفعال التي لا تدل علىٰ الصبر.

فإذن فالصبر واجب، ومن فاته الصبر بأن أظهر التسخط بلسانه، أو أضمر التسخط علىٰ قضاء الله بقلبه، ولم يصبر وأظهر الشكوىٰ، فإنه يأثم علىٰ عدم الاتيان بهذا الواجب ألا هو الصبر، وكذلك يُحرم كثير من الخيرات التي تأتي بعد الصبر من انفتاح القلب من عبادة الله جل وعلا والأنس به والإقبال عليه، والإنابة، والتخلص من الذنوب قبل الممات.

ولهٰذا قال هنا في هٰذا الحديث: « **إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْـخَيْرَ** » يعني الخير في الدنيا وفي الآخرة « **عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ**» وتعجيل العقوبة في الدنيا خير من أن تدَّخر وتؤخر له يوم القيامة؛ لأن عذاب الدنيا ومصائب الدنيا أهون من مصائب الآخرة.

هٰذا شأن الصبر..

وقد ذكرت لكم ما ينبغي التنبيه عليه؛ لأنه يختلط كثيرا علىٰ الناس أنَّ الصبر بالنسبة للمصائب غير الرضا، الرضا يختلف عن الصبر.

الصبر واجب بحبس اللسان عن التشكي.

والرضا قسمان: واجب ومستحب.

فالواجب أن يرضىٰ بقضاء الله جل وعلا الذي هو فعل الله جل وعلا.

والمستحب أن يرضىٰ بالمقضي يعني بالمصيبة، هٰذا ما لا يكون إلا للخاصة من عباد الله الموفَّقين؛ لأولياء الله، أن يرضىٰ بالمصيبة وأن لا يسخط المصيبة في نفسها.

وأما الرضا الواجب فهو أن يرضىٰ بما فعله الله جل وعلا حيث إن الله جل وعلا ذو الملكوت له في الربوبية وله الملك، يتصرف في ملكه كيف يشاء، ونحن عبيده يفعل بنا عز وجل ما يشا.

وأما النظر للمصيبة فقد يسخطها.

مثال ذلك: مرض أصيب به فلان من الناس، هٰذا المرض له جهتان :

الجهة الأولىٰ: فعل الله قدر الله قضاء الله، هٰذا يجب الرضا به، والرضا عنه.

الجهة الثانية: أنه أصيب بهذه المصيبة جاءه هٰذا المرض، جاءته هٰذه العاهة، جاءه هٰذا البلا، فهو يسخط المرض، يكره المرض، يكره ما أصابه، يضيق صدره ما أصابه، هٰذا ليس بمحرم أن يضيق صدره بما أصابه، أو أن يكره ويسخط ما أصابه، الذي أصابه؛ يعني المرض الذي هو المقضي، هٰذا من المستحب أن يرضىٰ به وإذا سخطه فليس عليه إثم.

بخلاف الرضا بقضاء الله الذي هو فعله جل وعلا.

إذا نظرت إلىٰ هٰذا فالرضا الواجب يكون مثمرًا للصبر إذا رضي عن قضاء الله جل وعلا أثمر الصبر الواجب، وإذا ضعف عنده الرضا بقضاء الله جل وعلا فاته ..

[قال الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»]

قوله: (وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ) أي أخَّر عنه العقوبة بذنبه (حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوبا بحتىٰ مبنيا للفاعل.

قال العزيزي: أي لا يجازيه بذنبه في الدُّنيا حتىٰ يجيء في الآخرة مستوفر الذنوب وافيها، فيستوفي ما يستحقه من العقاب. وهذه الجملة هي آخر الحديث.

فأما قوله: (وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ») إلىٰ آخره، فهو أول حديث آخر، لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد.

وفيه التنبيه علىٰ حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة].

قوله: (وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ»).

هٰذا قول النبي ﷺ: «وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» هٰذا كما جاء في الأحاديث الأُخر من تمثيل المؤمن بخامة الزرع كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع، تفيّئها الريح تارة هنا وتارة هناك، ومثل الكافر كالأَرْزة لا يكون إنجعافها إلا مرة واحدة» يعني عود صلب أو ساق صلبة إذا أتت الريح كسرتها مرة واحدة، أما المؤمن مثل خامة الزرع تارة تأتيه الرياح ذات اليمين تجعفها إلىٰ الأرض ثم تستقيم مرة أخرىٰ، ثم تأتيها الرياح من جهة أخرىٰ وهكذا حال المؤمن.

قد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في ذلك: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ قدر دينه».

قد دخل ابن مسعود كما في الصحيح أيضا علىٰ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقال: يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا، قال: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، وذلك لأنهم يُشدد عليهم في ذلك حتىٰ تعظُم درجاتهم وتُرفع ويكون لهم بذلك من الخيرات ما جَعل الله جل وعلا مكانتهم عليها.

وهكذا الصَّالحون يكون عليهم الابتلاءات وما من شك أنَّ المصائب هي بسبب الذنوب، وأن العبد لو سلم من الذنوب تمامًا لكانت المصائب لرفع درجاته، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[الشورىٰ]، ولو قدر أن العبد خلي من الذنوب تماما فإن المصائب تكون في حقِّه لإحداث أنواع العبادات وأنواعا من الإيمان فتكون خيرا له، ولرفع درجاته ويكون علىٰ تمام العبودية والذل والافتقار لله جلَّ وعلا.

ووجود البلاء والشر في الأرض هٰذا بالنسبة إلىٰ الخلق، فهو شر بالنسبة إليه، أما فعل الله جل وعلا فليس فيه شر كما هو معلوم؛ قد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في دعائه وتحميده وتنزيهه لله جل وعلا: «والشَّرُّ ليس إليك» يعني أن الله جل وعلا ليس في أفعاله شر؛ بل أفعاله خير كلها، حتىٰ ما يصيب العبد

من الشرور حتىٰ ما يصيب العبد من الشرور هو شر بالنسبة له، أما بالنسبة لفعل الله جل وعلا فهو خير؛ وذلك أن وجود الشر بالنسبة للعباد لابد منه لحدوث الخير ولتميز الخير من الشر.

فوجود الخير لا يستبين ووجود النعمة والرحمة لا تستبين إلا مع وجود أضدادها؛ فلهٰذا من أساسيات الإيمان بالقدر أن نؤمن بالقدر خيره -بالنسبة لنا- وشره -بالنسبة لنا- من الله جل وعلا، وأن كل ما يصيب العباد من خير وشر أنه من الله جل جلاله.

إذا تبيَّن ذلك فإن من سوء حظ العبد أن يؤجل له العقاب، لهٰذا كان بعض السَّلف يفرح بالحمىٰ إذا جاءته، وعلَّمهم النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن لا يسبُّوا الحمىٰ وقد قال: «إنها لتنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد» كانوا لا يسبُّون الباء لعلمهم أنَّ البلاء به خير للعباد وأنَّ العبد إذا أريد به الشر أجل له العقاب حتىٰ يوافي به الله يوم القيامة.

....

قوله : (وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.)

قال الترمذي: حدثنا قتيبة، ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس، فذكر الحديث السابق، ثم قال: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عظم الجزاء...» الحديث. ثم قال: حديث حسن غريب من هٰذا الوجه.

ورواه ابن ماجه. وروىٰ الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رَفَعَه: «إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع» قال المنذري : رواته ثقات.

قوله : « إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ » بكسر العين وفتح الظاء فيها. ويجوز ضمها مع سكون الطاء. أي من كان ابتلاؤه أعظم كمية وكيفية.

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يثاب عليها مع تكفير الخطايا، ورجح ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلا إذا كانت سببًا لعمل صالح، كالصبر والرضا والتوبة والإستغفار. فإنه حينئذٍ يثاب علىٰ ما تولد منها، وعلىٰ هذا يقال في معنىٰ الحديث: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب.

قوله: «وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ» ولهذا ورد في حديث سعد: (سُئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل علىٰ حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّة ابتلىٰ علىٰ قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتىٰ يتركه يمشي علىٰ الأرض وما عليه خطيئة» رواه الدارمي، وابن ماجه والترمذي وصححه.

وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبدُ أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم إلا الله تعالىٰ، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا دفعًا، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولىٰ وأحرىٰ، فيحرم قصدهم والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة، وفي وقوع الإبتلاء بالأنبياء والصَّالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يُحصىٰ.

قوله: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا» أي من الله تعالىٰ، والرضا قد وصف الله تعالىٰ به نفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالىٰ: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾[البينة:٨]، ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ علىٰ ما يليقُ بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل: فإذا رضي الله تعالىٰ عنه حصل له كلّ خير، وسلم من كل شر، والرِّضا هو أن يسلِّم العبد أمره إلىٰ الله، ويُحسن الظن به، ويرغب في ثوابه، وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا محبةً لله وثقةً به، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ الله بقسطه وعدله جعل الرَّوْح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط.

قوله: «وَمَنْ سَخِطَ» وهو بكسر الخاء، قال أبو السعادات: السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به. أي من سخط علىٰ الله فيما دبره فله السخط، أي من الله، وكفىٰ بذلك عقوبة. وقد يُستدل به علىٰ وجوب

الرضا وهو اختيار ابن عقيل. واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم.

قال شيخ الإسلام: ولم يجئ الأمر به كما جاء الأمر بالصبر. وإنما جاء الثناء علىٰ أصحابه. قال: «وأما ما يروىٰ من لم يصبر علىٰ بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًا سوائي» فهذا إسرائيلي لم يصح عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام: وأعلىٰ من ذلك ـ أي من الرضا ـ أن يشكر الله علىٰ المصيبة لما يرىٰ من إنعام الله عليه بها. اهـ والله أعلم.

هٰذا واضح، وينبه فيه علىٰ قوله: (فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) وأن مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الرضا والسَّخَط أنها من الصفات الاختيارية التي تقوم بالله جل وعلا بمشيئته وقدرته، ويتصف الله جل وعلا بها إذا شاء، وهو جل وعلا، موصوفٌ بأنه يرضىٰ ويغضب ويسخط ورضاه وسخطه من حيث الجنس من حيث الاتِّصاف قديم، كسائر الصفات، ولٰكِن الرِّضا عن المعيَّن السخط عن المعين، هٰذا يُعتبر آحاد الرضا، فهٰذا يتعلق بالمعين إذا وُجد منه تمام الرضا، أو إذا وجد منه سبب السَّخط يعني أن الله جل وعلا رضي عن المؤمنين الذين بايعُوا النبي ﷺ تحت الشجرة كما في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨] رضي عنهم حين بايعوا، قال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وهؤلاء حل عليهم رضوان الله، ومعنىٰ ذلك أن الرضا عنهم إنما حل حين المبايعة، ولم يكن قبل ذلك بخصوص الفعل، نعم المؤمنون مرضي عنهم لٰكِن الرضا عنهم بخصوص هٰذا الفعل كان بعد حصوله، وهٰذا من مثل قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾[طه]، ومن مثل قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : «إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، فدلَّ علىٰ أن الغضب يكون متعلِّقا بالأشياء، ويتصف الله جل وعلا به، وبنحوه من الصفات الإختيارية بمشئته وقدره جل وعلا.

فإذن تعلق الرضا يكون عند أهل السنة والجماعة بعد حصول السَّبب، وهٰذا خلافًا لأقوال أهل البدع الذين ينفُون اتصاف الله جل وعلا بالصفات الاختيارية، ويقولون: صفاته هي كلها قديمة، ويجعلون الرضا عن المؤمن قديم حتىٰ في حال كفره، يعني في حال الشرك قبل أن يسلم إذا علم الله جل وعلا -علىٰ قولهم- أنه يختم عنه بافسلام فإنه مرضي عنه حتىٰ في حال الشرك، ومسخوط علىٰ الكافر الذي يُختم عليه بالكفر حتىٰ ولو كان قبل ذلك مؤمنا، وهٰذا باطل عظيم؛ من أنواع الأقاويل الباطلة لهم وتعدي علىٰ الله جل وعلا في صفاته، فيجعلون المؤمن في حال كفره مرضيًّا عنه، ويجعلون الكافر الذي هو الآن في حال الإيمان أنه مسخوط عنه الآن، وأهل السنة كما قد سبق وبيَّنتُ لكم علىٰ أن الرِّضا يكون حين الاتيان بسببه كما دلَّ عليه قوله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ و(إذ) ظرفية فتعلق وقت الرضا ببيعته، فكان السبب في الرضا البيعة وهم مؤمنون كان الله جل وعلا راضيا عنهم قبل ذلك لأنهم علىٰ الإيمان، وخص جل وعلا رضاءه عنهم بسبب البيعة برضا خاص، بقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ فقوله هنا في الحديث: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا» يعني يرضا الله جل وعلا عنه لرضاه عمَّا أصابه، لرضاه عن البلاء الذي أصابه، «فَمَنْ رَضِيَ» البلاء الذي

رضي، البلاء من جهة فعل الله جل وعلا «فَلَهُ الرِّضَا»؛ لأن الرضا بالبلاء الرضا بالمصيبة من جهة فعل الله واجب، فمن رضي هٰذا فله الرضا، رضي الله جل وعلا عنه بذلك وقد يكون في حق المعين، أسباب للرضا وأسباب للسخط فيجتمع في حقه رضا الله جل وعلا عنه في أشياء، وسخط الله جل وعلا عليه في أشياء، وهٰذا اعتقاد أهل السنة والجماعة مخالفين بذلك الذين ينفون اتصاف الله جل وعلا بالصِّفات الفعلية الاختيارية التي تقومُ بالله جل وعلا ومشيئته وقدرته.

ما ذكره في آخر الكلام من أنَّ الرضا مستحبٌّ، وأن الصبر واجب من كلام شيخ الإسلام هو نقله عن ابن القيم هٰذا يعنون به الرضا المستحب؛ يعني الرضا بالمصيبة.

وقد فصل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وشيخ الإسلام في مواضع وهو مذكور أيضا في «شرح الطحاوية» ومذكور في كتب الاعتقاد تفصيل في مسألة الرضا بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي.

وينبغي أن يحمل كلام شيخ الإسلام هنا وابن القيم والخلاف الذي ذكره الشيخ الإمام عبد الرَّحمٰن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ الخلاف هل هو واجب أو مستحب الرضا بالمقضي، أما الرضا بالقضاء معلوم أنه واجب لأنهم ذكروا ذلك في موضع آخر.

نكتفي بهذا القدر، ونبدأ من الأسبوع القادم إن شاؤ الله تعالىٰ في (باب ما جاء في الرياء).

[الأسئلة] هنا بعض الأسئلة؟

سؤال (١): ما رأيكم في بعض العبارات: أولا: مع خالص شكري، ثانيا: وحياة الله، ثالثا: المحرم فلان؟

الجواب: أولا من المناسب في السؤال أن لا يسأل عن الرأي، يقول: ما رأيك في كذا؟ بل يسأل عن حكم كذا، أو عن كلام أهل العلم في كذا، أو ما قول أهل العلم في المسألة الفلانية؟ أو ما الفتوىٰ في المسألة الفلانية؟ ما حكم قول الناس كذا؟ لأن كلام أهل العلم ليس هو من قبيل الرأي الشخصي.

بل هم ينقلون في ذلك عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسمىٰ ابن القيم المفتين : موقعين عن رب العالمين في كتابه المشهور «معالم الموقعين عن رب العالمين» أو الذي يسمىٰ «إعلام الموقعين عن رب العالمين» موقعين عن رب العالمين يعني المفتين، فهو يوقع عن رب العالمين، يعني يقول في كلامه: هٰذا حكم الله في المسألة، وهٰذا حكم رسوله في المسألة، أو هٰذا حكم الشرع في المسألة بحسب ما يعلم، وهٰذا مما يعظم خطر التكلم في المسائل بلا علم أو أن يتكلم في مسالأة تشتبه عليه بلا علم فإذا علم طالب العلم أو العالم علم الكلام في المسألة تكلم عليها فإذا اشتبهت عليه أو كان لا يعلم وقال: لا أعلم، لا أدري. ومن ترك لا أدري أصيبت مقاتله.

أولا في قوله: (مع خالص شكري لكم) هٰذه من العبارات التي لا تنبغي؛ لأن الشكر الخالص شكر العبادة، وخالص العبادات لله جل وعلا. نعم العبد يكون له شكر، كما قال جل وعلا: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[لقمان:١٤]، وجاء في الحديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، لٰكِن خالص الشكر هو لله جل وعلا، هٰذه العبارات تجتنب ويقال: مع شكري لكم، مع وافر شكري لكم، مع كثير شكري، وعظيم شكري، ونحو ذلك من العبارات التي فيها ترك الشكر الخالص للمخلوق، ويكون الشكر الخالص لله جل وعلا.

الثاني: وحياة الله، لا بأس بها، لأنه قسم بصفة من صفاة الله جل وعلا، والقاعدة في باب الأيمان أنه يُقسم بالله ويحلف بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته.

وتقول: والله، والكريم، والعظيم والسلام.

أو تقول: وحياة الله، وكلام الله، والقرآن، الحلف بالمصحف جائز؛ لأنه كلام الله جل وعلا، والقرآن العظيم، ونحو ذلك.

إذن الحلف يجوز بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته، والحياة صفة من صفات الله جل وعلا الذاتية فيجوز القسم بها.

ثالثا: المكرم فلان، هٰذا لا بأس به أيضا؛ لأن كل إنسان مكرم حتىٰ الكافر تقول له: إلىٰ المكرم فلان، أو الفاسق تقول له: إلىٰ المكرم، لأن الله جل وعلا كرَّم كل أبناء آدم بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، ولهٰذا العظماء يستعملون في رسائلهم إذا كاتبوا من لا يرضون عنه، أو من عنده فسق أو نحو ذلك من العيوب يخاطبونه بالمكرّم بدون عبارات أخر، المكرم الأستاذ فلان، المكرم الوزير الفلاني بما له من المنزلة؛ لكن لا يصفونه بأكثر من ذلك، وإذا وصف باعتباره مسلما فلا حرج، لٰكِن هٰذا من باب التنبيه، فالمكرم فلان لا بأس بها لأن كل إنسان قد كرمه الله جل وعلا.

سؤال (٢): هل التعبير عن الصفات كالكلام والرضا بقولنا: أصلها قديم وأفرادها حادثة، هل فيها إشكال أم لا؟

الجواب: قوله: (أصلها قديم)، هٰذا ما يعبر به أكثر أهل العلم ليس من تعبير أهل العلم باطراد؛ لٰكِن معناه صحيح، إنما يعبرون بقولهم: هٰذا من الصفات قديمة النوع حادثة الآحاد، يقولون الكلام كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، قديم النوع حادث الأفراد، كما قال جل وعلا مثلا في القرآن: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء]، فالقرآن كلام الله حديث العهد بربه جل وعلا مع أن صفة الكلام لله جل وعلا قديمة النوع.

سؤال (٣): ...يحلف بالقرآن، ولا يقصد به مثلا الله جل وعلا..

الجواب: هو لا بأس، طبعا، لو حلف بأحد، هٰذا من حلف الأنبياء ولا الصحابة أنهم يحلفون، لو حالف حالف بالقرآن، قال: والقرآن العظيم، لا بأس لأن القرآن هو صفة الله جل وعلا.

سؤال (٤): قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في عمِّه: «لولا أنا لكان.. » الحديث، كيف نوفِّق بين هٰذا الحديث وبين نسبة النِّعم إلىٰ غير الله.

الجواب: هٰذا الواضح من الحديث المراد منه، «لو لا أنا» يعني لو لا شفاعتي، «لكان في ضحضاح»، هٰذا أولا.

والشفاعة معلوم أنها موقوفة علىٰ إذن الله جل وعلا ورضاه، فقوله: «لو لا أنا» يعني: لو لا شفاعتي التي منَّ الله جل وعلا بفضله وكرمه بإجابة فيها، النبي ﷺ يسأل ربه يوم القيامة، وقبل ذلك يحمده بمحامد ويثني عليه ويقال له: «يا محمد ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع» فالمتفضل في الحقيقة هو الله جل وعلا، والشافع في الشفاعة معلوم أن المتفضل هو الله جل وعلا؛ لأنه ما كانت تنفع عند الله لو لا إذن الله ورضاه؛ يعني هو ليس فيها نسبة الفضل إلىٰ النبي ﷺ وحده، بل ظاهر في قوله: «لو لا أنا» يعني لو لا شفاعتي أن الله تعالىٰ تفضل بقبول تلك الشفاعة بمنِّه وكرمه.

والثاني من الجواب علىٰ ذلك أو من التوفيق بين هٰذا أن قول القائل: لو لا فلان لأصابني كذا، يتكلم هو بأن فلان دفع المصيبة عن نفسه، دفع المصيبة عنه، فهٰذا فيه تعلق لقلب الناجي بالمخلوق، تعلق قلب الذي نجا من المصيبة بالمخلوق دون الخالق.

أما الحديث فالذي يتكلم بهذا الكلام ليس هو المصاب؛ ولٰكِن هو المحسن، وفرق بين المقامين. واضح هٰذا الثاني.

الوجه الثاني في قول القائل: الطيار لطاحت الطيارة، لو لا الشرطي لطردني فلان، (لو لا) هٰذا المتكلم هو المصاب بالمصيبة وعزا دفع المصيبة إلىٰ غير الله جل وعلا.

وأما الذي في الحديث فالمتكلم هو النبي ﷺ وليس هو المصاب، ولٰكِن هو محسنٌ إلىٰ المصاب، فاختلفت الجهة.

هٰذا تعلَّق قلبه بغير الله بأنه هو الذي دفع عنه الشر، والنبي ﷺ أحسن إلىٰ المصاب فهو يتكلم بما أحسن إلىٰ غيره مع ضميمة السبب الأول، فليس فيها تعلق الناجي بغير الله، وإنما فيها النّبي ﷺ بين أن هٰذا من الأسباب التي جعلته في خِصَّة من العذاب.

سؤال (٥):...

الجواب: هٰذا سؤال جيِّد، وذكرت ما يشير إلىٰ هٰذا بأن ما يصاب به العباد علىٰ قسمين:

- منه مصائب لأجل ذنوبه، عقوبة علىٰ الذنب.
- ومنه ما هو ابتلاء للاختبار.

لأن الله جل وعلا بين الأمرين، فبين منه الابتلاء بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾[الأنبياء]. فيكون ابتلاء بالشر.

وبيَّن أنه يعاقب علىٰ المعصية بقوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[الشورىٰ].

فهذان النوعان في القرآن، تعلقه بالعبد المعين أو ببلد معينة مما يصيبها آفات، نقول:

قد تكون عقوبة علىٰ معاصيهم، ويخشىٰ علىٰ صاحب المعصية، علىٰ صاحب الضلال، أو علىٰ بلاد فيها شر وفيها فساد .

وقد تكون ابتلاء وامتحان لهم.

من حيث العموم قد يكون فيهم مثلا إذا كان علىٰ معين قد يكون عقوبة وقد يكون ابتلاء، وإن كانت في الحال تبيِّن.

وأما إذا كان علىٰ مجتمع وبلد فإن فيهم الصالح وفيهم غير الصالح، وتكون عقوبة في حق العصاة، وابتلاء في حق الطائعين، فلا يطلق القول بالنسبة لبلد بأنها عقوبة، ما أصابهم عقوبة؛ لأنه قد يكون ابتلاء إذا كان فيها مسلمون.

أما إذا لم يكن فيها أحد من أهل الإسلام فيكون ذلك عقوبة كما قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ ﴾[يونس:١١].

ونختم بهذا وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.